الأمثال والحكم

لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

المتوفى ٦٦٦ هـ

صححه وعلق عليه

الدكتور فيروز حريرچي

الأستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة طهران

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

تقديم

الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

منشورات

المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

الأمثال والحكم

« التقديـم »

الدكتور شاكر الفحام

الأمثال أقوال متخيَّرة أملتها التجربةُ الإنسانية، وتناقلتها الألسنة، تتضمن الخبرة والحكمة والموعظة، وتتجلى فيها طباع الشعوب وأخلاقُها ومُثُلُها وأخيلتها، وأطرافٌ من معتقداتها وأساطيرها. يصل بها الانسان حديثه ليعبّر بايجاز عن حصيلة ما يريد التعبير عنه.

وقد عُنيت العرب بالأمثال أشد عناية، زيّنت بها كلامها، ووشّحت بها خطبها في محافلها، وتداولتها في مكاتباتها ومحاوراتها، فأصابت بها مفصل القول، ولباب المعنى واجتمع لها بذلك ثلاث خلال كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه».

وتبتدي في كلمات المؤلفين العرب تلك المكانة التي تبوأتها الأمثال، من ذلك قولةُ الزمخشري في صفتها: « ... ثم هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها... حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوَّحت فأغرقت في التصريح، وكَنَتْ فأغنت عن الإفصاح.. ».

وقال ابن عبد ربه منوهاً بها: «هي وشيُ الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْي المعنى... فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيءٌ مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مَثَل... ».

ولما للأمثال من المكانة والشأن تسارع العرب إلى روايتها وجمعها وشرحها وبسطوا القول فيها. وسلكوا في كتبهم طرائق عدة: فسرد بعضهم الأمثال دون ترتيب ناظم (كالمفضل الضبي وأبي فيد السدوسي وأبي عكرمة الضبي)، وآثر بعضٌ ترتيب الأمثال على الموضوعات (كأبي عبيد القاسم بن سلام)، واختار آخرون أن ينسقوا في كتبهم الأمثالَ على حروف الهجاء (كالزّمخشري والمَيداني)، واقتصر بعضٌ على لون واحد من ألوانها لا يجاوزه الى سواه (كحمزة الاصفهاني).

ويستطيع المرء أن يسرد طائفة صالحة من المؤلفين العرب الذين أفردوا الأمثال أو جانباً منها بالتأليف والتفسير والشرح، ثم يضمّ اليها أولئك المؤلفين الذين أحبوا أن يختاروا مقتطفات من الأمثال حلّوا بها تصانيفهم، وزيّنوا بها عروسهم.

ومما يثلج الصدر أن جملة طيبة من كتب الأمثال قد حققت ونشرت في العصر الحاضر، بعد أن ظلت حبيسة الخزائن زمناً طويلاً. والمأمول أن تتضافر الجهود لاظهار سائرها مما أبقت عليه يدُ الحدثان.

ويأتي صنيعُ الأستاذ الدكتور «فيروز حريرچي» خطوة في هذا المضمار، فقد وفّق في العثور على كتاب (الأمثال والحكم) لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، فنفض عنه غبار النسيان، وجلاه تحفةً تروق الناظرين، وقرّبه الى الواردين ينهلون منه العذب النمير.

وقد عُني الأستاذ «فيروز حريرچي» بتصحيح الكتاب، وبذل الجهد المضني في تخريج الأشعار، وضبطها وذكر اسماء أصحابها، وردّ ما وهم فيه المؤلف من نسبة الأشعار إلى الصواب. ثم فسّر ما غمض من الألفاظ والمعاني مستعيناً بكتب اللغة والمعجمات. ويدركُ من عانى هذه المصاعب، ودُفع به إلى هذه المضايق مما تتطلب من مراجعة في الكتب والدواوين تستغرق الوقت وتستنفد الطاقة.

فجزاه الله أكرم الجزاء وأوفاه على ما بذل وقدّم كي يأتي عمله متقناً، قد استوفى حظَّه من التدقيق والتجويد.

ولقد بينتُ آنفاً أن المؤلفين العرب قد افتنّوا في تصنيف كتب الأمثال، وسلكوا في ذلك مسالك شتّى، ومن تلك المسالك اقتصار طائفة من المؤلفين على ايراد لون واحد من الأمثال، يتتبعونه في الكتب والدواوين، ليعرضوه منسّقاً مرتباً وفق خطة ومنهجٍ يلتزمان بهما.

وكتاب (الأمثال والحكم) للرازي واحد من كتب هذا الطراز من التأليف، وقد أفصح مؤلفه عن مقصده في فاتحة كتابه فقال: «هذا مختصر جمعتُ فيه ما تفرق من الأبيات المفردة وأنصاف الأبيات التي ما زال الفضلاء يتمثلون بها في مكاتباتهم ومخاطباتهم في المعاني المختلفة والمتفقة، والمباني المؤتلفة والمتفرقة، من الحكم الدينية والدنيوية، وجوامع الكلم العقلية والنقلية، حتى صارت أمثالاً سائرة، ونجوماً في أفلاك البلاغة دائرة، وألفتها الأسماع، وجُبلت على الميل إليها القلوب والطباع، وسارت بها الركبان في البلدان، وأجمع على اختيارها أرباب البلاغة والبيان، فطرّزوا بها حواشي كتبهم، ورصّعوا بها جواهر فضلهم وأدبهم، وفضّلوها على سائر أبيات القصائد، وفصّلوها تفصيل الدرر اليتيمة في القلائد، فنظمتُ ما تناثر من فرائدها اليتيمة. . . ».

فكتاب (الأمثال والحكم) لا يندرج في سلسلة الكتب التي جمعت أمثال العرب المتداولة، أو لوناً واحداً من ألوانها، ولكنه من تلك الكتب التي عُني أصحابها بتصفح الأشعار قديمها وحديثها، ليختاروا منها ما سبق إليه الشعراء من «مثل رائع في فنه، بارع في معناه ولفظه»، يصلح للتمثل به والاتكاء عليه في المذاكرة والمحاورة. وهو أمر لم يكن فيه الرازيُّ نسيج وحده، بل كان له فيه قدوة حسنة اقتدى بهم ونهج على غرارهم. ومن قبلُ جمع الصاحب بن عبّاد (الأمثال السائرة) من شعر المتنبي. أما الثعالبي فقد أورد في فصول من كتبه نماذج من غرر ما يتمثل به من أبيات الشعر السائرة المستحسنة، تجد ذلك في كتابه (التمثيل والمحاضرة) وفي (خاص الخاص) وأمثالهما.

رتب الرازي كتابه على الموضوعات. وقد قسمه قسمين:

القسم الأول: فيما جاء من الأمثال والحكم في الأبيات، وقد وزعها عشرة فصول طبقاً لمعانيها وأغراضها.

القسم الثاني: فيما جاء من الأمثال والحكم في أنصاف الأبيات، وجعله في ثمانية فصول.

وأدرج في كل فصل ما يناسبه من الأشعار التي تخيّرها. متتبعاً أقوال الشعراء من الجاهلية الى عصره، فقدم لنا ذخيرة غالية ابدع في انتقائها وعرضها فأحسن وأجاد.

ويبقى للأستاذ فيروز حريرجي فضل الكشف عن هذا العلق النفيس وتقديمه للناشئة العربية في أجمل صورة مستطاعة.

وعمل الأستاذ فيروز حريرجي ككل عمل انسانيّ يكمل ويتمّ بتضافر الجهود، وما يقدّمه العلماء الأعلام الذين وقفوا أنفسهم لخدمة الكتاب المنزل الكريم، والذبّ عن الفصحى المبينة، ونفي ما علق بها من شوائب الهجنة والغلط.

كنت أود لو خلا الكتاب مما وقع فيه من أغلاط الطبع. أرجو وآمل أن أرى الطبعة الثانية من الكتاب تختال في أفواف موشاة، قد برئت من كل مأخذ.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

الاثنين ١٤٠٧/١١/٢٤ هـ

١٩٨٧/٧/٢٠ م

الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين
والصّلاة والسّلام على محمد
وآله الطّاهرين وصحبه المنتجبين

أما بعد:

فهذا بين يَدَي القارىء الكريم، كتاب **«الأمثال والحِكَم»** لمحمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ (ت. ٦٦٦ هـ) صاحب **«مختار الصّحاح»**.

لقد رأت المستشارية الثقافية للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بدمشق أن تأخذ على عاتقها مهمّة جمع آثار العلماء ونشرها، نَظَراً لمكانتهم العلميّة وشخصيّتهم الفذّة، فما أجدر تراثنا بالحفظ والتّخليد، وما أحوجنا إلى تبصرة أجيالنا الصّاعدة بكفاءات أسلافنا العلميّة ومآثرهم الفنّيّة.

ولتحقّق الرّغبة في هذا طلبت المستشاريّة الثّقافيّة إلى الأستاذ الدكتور **«فيروز حَريرجي»** الأستاذ بجامعة طهران وعضو مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، باعتباره الجامع بين الثّقافتين الفارسيّة والعربيّة، أن يقوم بمهمّة تحقيق وتعليق كتاب **«الأمثال والحِكَم»** عن نسخة فريدة موجودة في المكتبة المركزية بجامعة طهران. وها هو بحول الله وقوّته قد وفّق في سعيه مشكوراً، وهذا هو كتاب **«الأمثال والحِكَم»** بين يدي القارىء الكريم.

وفي الختام نشكر الأستاذ العلاّمة الدكتور شاكر الفَحام المدير العام

«للموسوعة العربيّة الكبرى» ونائب رئيس مجمع اللّغة العربيّة الذي منّ علينا بتقديمه على هذا الكتاب .

المستشار الثقافيّ
للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بدمشق
الدكتور صادق آئينه وند

دمشق

تيرماه : ١٣٦٦ هـ. ش
ذي القعدة : ١٤٠٧ هـ. ق
تمّوز : ١٩٨٧ م